**المحاضرة الخامسة :حضارة بلاد الرافدين.**

**تاريخ – ديانة- فنون- فكر- علوم.**

**أولا. نبذة مختصرة عن هذه الحضارة:**

حضارة بلاد الرافدين هي حضارة كانت موجودة في أراضي العراق، وتتميّزُ بأنّها من الحضارات التي ظهرت بشكلٍ أصيل؛ أي تأسّست وشهدت الكثير من التطوّرات دون الاعتماد على أي حضارة أُخرى من الحضارات، حيث إنها وُجدت منذ عصور ما قبل التاريخ وتعد من أقدم الحضارات الإنسانية، وشكّلت الزراعة أهم المهن التي انتشرت بين سُكّانها، وساهم التفاعل الذي ظهر بين النّاس والطبيعة في تطوّر هذه الحضارة مع مرور الوقت أمّا اسم بلاد الرافدين أي بين الأنهار بهدف الإشارة إلى الأراضي الموجودة بين نهري دجلة والفرات.

وتذكر الروايات أنّ سفينة نوح عليه السلام قد رست في منطقة الكوفة وهي قريبة من بابل، وذلك بعد أن مات جميع البشر في حادثة الطوفان، ثمّ ظهر أول مجتمع بشري بعد هذه الحادثة في منطقة ما بين النهرين، والتي تعتبر منشأً لسلالة البشر والحضارات المتعاقبة على الأرض..

**ثانيا. الموقع الجغرافي:**

تقع حضارة بلاد الرافدين في  ال[جنوب الغرب لقارة آسيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%86%D9%88%D8%A8_%D8%BA%D8%B1%D8%A8_%D8%A2%D8%B3%D9%8A%D8%A7). وهي تقع حالياً تقع بالعراق، وتركيا، والجمهورية السورية؛ أي جميع المناطق التي تقع ما بين نهري الفرات ودجلة، وكلا هذين النهرين ينبعان من جبال أرمينيا الموجودة في تركيا، وتغذيهما عدّة روافد توجد في شرق البحر الأبيض المتوسّط وفي غرب قارّة آسيا (**منطقة الهلال الخصيب في العراق(مصطلح جغرافي أطلقه عالم الآثار الأمريكي جيمس هنري على مناطق الحوض من نهريّ دجلة والفرات، والجزء الساحلي من بلاد الشام)**) ويتوحّد النهران في الجهة الجنوبية بشط العرب ويصبان في خليج العرب. ويكون مناخ هذه الحضارة شبه جاف ورطب غالباً كونها مناطق صحراوية، خاصة من الجهة الشمالية، وتتميّز بكثرة البحيرات والمستنقعات الطينية؛

**ثالثا. بعض مظاهر الحضارة في مصر الفرعونية:**

**أ- الدين:**

إن العقيدة الدينية قديمة في وجودها قدم الإنسان نفسه، ولكن من الصعب تحديد البدايات لهذه العقيدة الدينية من حيث الزمان والمكان، ولكن يمكن القول إن الإيمان بالدين وجد في مناطق عديدة من العالم وبين أقدم الجماعات البشرية التي عثر عليها المؤرخون والأنثروبولوجيون في مواقع استيطانهم، وعلى مخلفاتهم التي لها علاقة بالدين والعقيدة الدينية.

إن ما يعرف عن ديانات سكان بلاد الرافدين في عصور ما قبل التأريخ قليلٌ جداً، ومعظم هذا القليل غير مؤكد، لأن المعلومات تعتمد على المخلفّات المادية التي تركها إنسان الكهوف والملاجئ الجبلية والأكواخ التي اتخذها مسكناً له، وأهم تلك المخلفّات هي التماثيل والقبور والتعاويذ والرسوم والنقوش البارزة والآلات والأدوات وعظام الحيوانات. ولا يوجد وثائق مدوّنة عن الممارسات الدينية، لأن الكتابة لم تكن معروفة ولم تُخترَع إلاّ في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

ارتبطت أركان حضارة بلاد الرافدين مع المعتقدات الدينيّة التي سادت في ذلك الوقت، وصارت جزءاً من الإنجازات الحضاريّة والنشاطات اليوميّة، وظهرت الكثير من المعبودات التي وصلت إلى عددٍ كبيرٍ في فترة القرن الثالث قبل الميلاد، ولكنها لم تتفق معاً في المكانة بل كانت لكلٍّ منها أهميةٌ خاصة بها، ويحكمها جميعاً آلهة أساسيّة تفوقها بجميع القدرات، كما سعت الشعوب في حضارة بلاد الرافدين خلال العديد من العصور المتعاقبة إلى تقليل عدد المعبودات؛ من خلال جمعها معاً من حيث التوافق في الخصائص أو المسؤوليّات أو التوقف عن عبادة مجموعة منها، وساهم هذا الشيء في تقليل عدد الآلهة بشكلٍ كبير.

ويمكن تقسيم الديانة عندهم إلى المعتقدات الدينية، واستخدام المعابد وعبادة الآلهة فيما يأتي:

أ- **المعتقدات الدينية**: يمكن استقصاء هذه المعتقدات الدينية والقيم الأخلاقية لبلاد الرافدين من خلال نصوصٍ متنوعة تشمل: القصص والأساطير الملحمية، والطقوس والتراتيل، والصلوات والتعازيم الدينية، ومجاميع للأقوال المأثورة والأمثال الدارجة. من المعتقدات الدينية الموجودة عندهم النظر إلى الإنسان بأنّه من أنواع الكائنات التي تشمل قسمين الأوّل الجسد وهو حسيّ، والآخر الروح وهي غير مرئيّة. كما اعتقد سكان بلاد الرافدين أن آلهتهم لم تكن شيئاً في بدايتها أي إنها كانت عدماً، وإن من جراء هذا العدم خُلق إلهان أحدهما مذكر ويدعى (آبسو)  (Apsu) وهو محيط بالمياه الحلوة المحدق بالأرض، والثاني مؤنث وتدعى (تيامة) (Tiamat) ومعناها البحر، وهذان الإلهان كانا الأصل لكل شيء موجود. وهذا ما نجده في مستهل أسطورة الخليقة:يوم لم تكن السماوات العلى--ولا الأرض من أسفل قد تسمّت باسمها --من الأب الأول آبسو،--ومن أم الجميع، تيامة الهائجة--تجمعت المياه في مَجْمَعٍ واحد--يوم لم تكن لمنابتِ الأسلِ تخوم-ولا وقعت عين راءٍ على مجامع القصب-يوم أحد من الآلهة لم يكن بعد قد نودي باسمه- ولا حدد لواحد منها، مصيره--يومئذٍ كانت الآلهة.

ب - **استخدام المعابد**: انتشر بين النّاس استخدام المعابد التي عُرِفت باسم (بيت) في الأكادية، ومن الجدير بالذكر تشابه هذه الكلمة تماماً بمقابلها في اللغة العربيّة؛ حيث اعتبر المعبد بيتاً للآلهة وفقاً للاعتقاد الذي ساد قديماً، كما لم يصل التوحيد كعقيدةٍ إلى النضج الكامل آنذاك إلّا أنه ظهرت ميول حقيقيّة للتخلص من الشرك؛ من خلال تطبيق التفريد الدينيّ الذي يدعو إلى الإيمان بآلهة واحدة، ولكن دون تجاهل العبادة الخاصة بالآلهة الأخرى.

ج - **عبادة الآلهة:** استحدث سكان بلاد الرافدين آلهة رئيسة، وهي الآلهة التي عبدها السومريون، وعظّمتها أغلب الملاحم والأساطير السومرية والبابلية آنذاك، ومن أنواع الآلهة عندهم: الإله (آنو) (Anu) (إله السماء) والإله (إنليل)) (Enlil) إله الهواء) والإله (إنكي)) (Enki) إله الأرض والمياه العذبة) كان هؤلاء الآلهة يقتسمون العالم، ولكل من هؤلاء الآلهة طريقه الخاص في المدار الشمسي، ومساكنهم جميعاً في أعالي السماء.

ويبدو إن الخوف الذي كان يسيطر على العراقي القديم وهو يواجه قوى الطبيعة، ساهم في دفعه نحو ابتكار الآلهة وعبادته لها، ليجد فيها ملجأ يزيل عنه هذا الخوف، إذ إن ذهنية حضارة بلاد الرافدين كانت تعكس هذا الخوف والقلق، وإن كل هذا قاد به إلى إيجاد الآلهة لتكون تعبيراً عن قوى الطبيعة التي يخاف منها، وإن قلقه المتزايد نحو العالم الآخر قد زاد من هذا الخوف، إذ كان يرى إن الموت أمر مقرر ذلك ((لأن الآلهة منذ أن خلقت الإنسان, كانت قد جعلت الموت حظاً له، وإن الحياة بقيت بيد الآلهة هذه.

وكان من الطبيعي أن يكون الإنسان في بلاد الرافدين القديم متديناً، لأن الدين كان يقدم نفسه في حدود المستوى الذي كان عليه التطور المادي في بلاد الرافدين، إذ إنه مثّل آنذاك انعكاساً خيالياً داخل الوعي الاجتماعي لعلاقات الناس فيما بينهم بصفة عامة، وعلاقاتهم مع الطبيعة بصفة خاصة، فكان هذا الإنسان يعيش في حالة من الترابط مع الطبيعة، وبقي هذا الشعور يلازمه طوال الفترة التي حافظ فيها المجتمع على تماسكه الثقافي، وبقي هذا الشعور حياً بالرغم من تطور أحوال الحياة المدنية.